

المحاضرة الخامسة

وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ (62) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (63) مُدْهَمَّاتٍ (64) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (65) فِيهِمَا عَيْنَانِ نُضَاحَتَانِ (66) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (67) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (68) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (69) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (70) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (71) حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (72) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (73) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (74) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (75) مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (76) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (77) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (78)

{وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ} أي ومن دون تلك الجنتين في الفضيلة والقدر جنتان أخريان قال المفسرون: الجنتان الأوليان للسابقين، والأخريان لأصحاب اليمين ولا شك أن مقام السابقين أعظم وأرفع لقوله تعالى

{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ} [الواقعة: 811] {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} أي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان يا معشر الإنس والجن؟ {مُدْهَمَّاتٍ} أي سوداوان من شدة الخضرة والري قال الألوسي: والمراد أنها شديدا الخضرة، والخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد وذلك من كثرة الري بالماء {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} تقدم تفسيره {فِيهِمَا عَيْنَانِ نُضَاحَتَانِ} أي فوارتان بالماء لا تنقطعان وقال ابن مسعود وابن عباس: تَنْضَحُ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالْمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ فِي دُورِ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَزَخِ الْمَطَرِ {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} تقدم تفسيره {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} أي في الجنتين من أنواع الفواكه كلها وأنواع النخل والرمان، وإنما ذكر النخل والرمان تنبيهاً على فضلها وشرفها على سائر الفواكه ولأنهما غالب فاكهة العرب قال الألوسي: ثم إن نخل

الجنة ورماتها وراء ما نعرفه {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} تقدم تفسيره {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} أي في تلك الجنان نساء صالحات كريمات الأخلاق، حسان الوجوه {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} تقدم تفسيره {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} أي هنَّ الحورُ العين المخدرات المستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن، قد قصرن في خدورهن في خيام اللؤلؤ المجوّف، قال أبو حيان: والنساء تُمدح بذلك إذ ملازمتهن البيوت تدل على صيانتهن قال الحسن: ليس بطوافات في الطرق، وخيام الجنة بيوت اللؤلؤ، وفي الحديث «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ خِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤَةٍ مَجُوفَةٍ، عَرْضُهَا سِتُونَ مِيَالاً، فِي كُلِّ زَوَايَةٍ مِنْهَا أَهْلٌ مَا يَرُونَ الْآخِرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُونَ» {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} تقدم تفسيره {لَمْ يَطْمِئُنُّوا بِنِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} أي لم يجامعهن ولم يغشهن أحد قبل أزواجهم لا من الإنس ولا من الجن قال في التسهيل: الجنتان المذكورتان أولاً للسابقين، والجنتان المذكورتان ثانياً لأصحاب اليمين، وانظر كيف جعل أوصاف الجنتين الأوليين أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما، فقال هناك {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} وقال هنا {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ} والجري أشدُّ من النضح، وقال هناك {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} وقال هنا {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} والأول أعم وأشمل، وقال في صفة الحور هناك {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ} وقال هنا {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} وليس كل حُسنٍ كحسن الياقوت والمرجان فالوصف هناك أبلغ، وقال هناك في وصف الفرش {مُتَّكِنِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} وهو الديباج وقال هنا {مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء أفضل من فضل الخباء {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} أي فبأي نعم الله الجليلة تكذبان يا مشعر الإنس والجن؟ {مُتَّكِنِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ} أي مستندين على وسائد خضر من وسائد الجنة {وَعَبْقَرِيٌّ حِسَانٌ} أي وطنافس ثخينة مزخرفة، محلاة بأنواع الصور والزينة قال الصاوي: وهي نسبة إلى «عقبر» قرية بناحية اليمن، يُنسج فيها بسط منقوشة بلغت

النهاية في الحسن، فقرب الله لنا فرش الجنتين بتلك البسط المنقوشة {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} أي فبأي نعمة من نعم الله تعالى تكذبان يا معشر الإنس والجن {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ} أي تنزه وتقدس الله العظيم الجليل، وكثرت خيراته وفاضت بركاته {ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} أي صاحب العظمة والكبرياء، والفضل والإنعام قال في البحر: لما ختم تعالى نعم الدنيا بقوله

{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 27] ختم نعم الآخرة بقوله {تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} وناسب هناك ذكر البقاء والديمومة له تعالى بعد ذكر فناء العالم، وناسب هنا ذكر البركة وهي النماء والزيادة عقب امتنانه على المؤمنين في دار كرامته وما آتاهم من الخير والفضل في دار النعيم.

البلاغة: تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

- 1 - المقابلة اللطيفة بين {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا} [الرحمن: 7] وبين {وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا} [الرحمن: 10] وكذلك المقابلة بين {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} [الرحمن: 14] {وَوَخَّلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ} [الرحمن: 15].
- 2 - التشبيه المرسل المجمل {وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} [الرحمن: 24] أي الجبال في العظم.
- 3 - المجاز المرسل {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} [الرحمن: 27] أي ذاته المقدسة وهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل.
- 4 - الاستعارة التمثيلية {سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ} [الرحمن: 31] شبه انتهاء الدنيا وما فيها من تدبير شئون الخلق ومجيء الآخرة وبقاء شأن واحد وهو محاسبة الإنس

والجن بفراغ من يشغله أمور فتفرغ لأمر واحد، والله تعالى لا يشغله شأن عن شأن وإنما هو على سبيل التمثيل.

5 - الأمر التعجيزي {إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا. . فَاَنْفُذُوا} [الرحمن: 33] فالأمر هنا للتعجيز.

6 - التشبيه البليغ {فَإِذَا انشقت السماء فَكَانَتْ وَرْدَةً} [الرحمن: 37] أي كالوردة في الحمرة حذف وجه الشبه وأداة التشبيه فصار بليغاً.

7 - الجناس الناقص {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ} لتغير الشكل والحروف، ويسمى جناس الاشتقاق.

8 - الإيجاز بحذف الموصوف وإبقاء الصفة {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} أي نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم.

9 - السجع المرصع غير المتكلف كأنه حبات در منظومة في سلك واحد إقرأ قوله تعالى {الرحمن عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} [الرحمن: 14] وأمثاله في السورة كثير.

فأئدة: تسمى سورة الرحمن «عروس القرآن» لما ورد «لكل شيء عروس، وعروس القرآن سورة الرحمن»